سعيد صيام جنرال برتبة شهيد بقلم د ممدوح المنير

الجمعة 16 يناير 2009 12:01 م

16/01/2009
لا أعرف لماذا دائماً تشدنى إليه عينيه ؟ تأملها قليلاً ، سترى فيها صفاءاً عجيباً ، ينفذ إلى أعماقك ، يسرى فى جسدك فيض من شحنات الإيمان و سخات الكرامة و نفحات العزة و الإباء ، دقق النظر أكثر ، أنظر إلى زوايا عينيه ، ترى فيها حمرة خفيفة ، يا تُرى من أين جاءت هذه الحمرة ؟ أمن سهر الليالى جهاداً و نضالاً ؟! ، أم أنها من بكاء الأسحار فى رحاب الله ؟ ، أم أنها زخّات شوق و لهفة على فقد الأحبة ياسين و صحبه ؟ وسع مجال الرؤية قليلاً ، تطلع بعينيك إلى لحيته البيضاء و شعر رأسه الأبيض ، لا تظن أن هذه الشعرات البيضاء هى كغيرها إبيضّت بفعل عوامل الزمن ، لا و ألف لا ، إنها شعرات مقاومة !! تنمو فقط فى قلب المحن و تزدهر بدماء الشهداء و تورق بسبحات الليل و تعيش بثقافة الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا ، أتعلم أين ذهبت هذه الشعرات الآن ؟ إنها الآن تختلط بدماءه الطاهرة ، تحتضنها أرض غزة المباركة ، تزرعها بذورَ للكرامة و تُنبت بها ألف سعيد ، إنها أرض مباركة بذرة الشهيد فيها بعشر امثالها إلى سبعمائة ضعف .

لم يمكن خبر إستشهاده مفاجئاً ، كيف بالله عليك يكون الرجل إسمه (سعيد) و (صيام) و لا يكون له حظاً من إسمه ؟ إنه الآن بإذن الله (سعيد) فى روضات الجنات ، (يُفطر) مع أحبته الذين كان يذرف الدمع شوقاً إليهم .

أكثر ما يميز هذه الشخصية الفذه هو هدوئها المدهش ، يعمل فى صمت و كأنه الهدوء الذى يسبق العاصفة ، كنت اتعجب كيف لشخص يتحلى بهذا الوقار و الهدوء يملك هذه اليد الفولاذية التى ضبطت الأوضاع فى قطاع غزة و أعاد إليها الإستقرار ، تولى وزارة الداخلية فى الحكومة الفلسطينية التى شكلتها حماس ، دخل فى صراعات لا تنتهى مع قيادات الداخلية الفتحاوية التى لم تتعود نظافة اليد و إستقامة السيرة و المسيرة ، كان صعباً عليها أن تعيش فى بيئة نظيفة يشرف عليها رجل مثله ، تناقضت معه و تحدّت سلطته و لكن الرجل العظيم لا تتصدر له إلا الأحداث العظيمة ، لم يضيع وقتاً أنشأ مع إخوانه القوة التنفيذية لتعيد الأمور إلى نصابها و لتضبط إيقاع الحركة فى القطاع و طبعاً كان ذلك خبراً صاعقاً لخفافيش الظلام و شياطين الإنس و لكن الرجل لم يكن فقط على قدر الحدث بل أكبر منه أيضاً ، تعامل مع الموقف بحكمة و حنكة و قاد السفينة و سط الأمواج الهائلة المضطربة ، حتى حانت لحظة الحسم و سيطرة حماس على قطاع غزة لتقلب السحر على الساحر الذى أراد أن يباغتها و ينهى وجودها و من خلفها مشروع المقاومة وكان هو بالطبع قائد أوركسترا الحسم فى القطاع واستطاعت القوة التنفيذية التى يرأسها مع كتائب القسام إنهاء الأوضاع الفائرة فى القطاع .

حين تتطلع إلى سيرة الجنرال المعلم تكدها تتطابق مع مسيرة شعب و نضال أمة ، عنوانها معاناة ونضال و تفاصيلها تشريد و حصار و لجوء و أعتقال ، حيث ولد بمعسكر الشاطئ بغزة ، بتاريخ **22-7- 1959**، بلدته الأصلية (قرية الجورة – عسقلان) ، أب لستة من الأبناء (ولدان وأربع بنات) ، أستشهد أحد أبناءه معه .

كان رحمه الله معلماً من طراز فريد ، وأنا هنا لا أعنى مُعلماً كأنموزج فذ وحسب و لكن أيضاً معلماً فى قاعات الدراسة يربى أجيال من تلامذته بحكمة الشيوخ و مهارة الربان و صلابة المقاوم و رحمة الأب و أستاذية المعلم
، تخرج رحمة الله عليه سنة **1980** من دار المعلمين برام الله ،، ليعمل بعد ذلك مدرساً في مدارس وكالة الغوث الدولية بغزة من العام **1980** حتى نهايةالعام **2003**، ثم ترك العمل بسبب ضيق الوكالة بإنتماءه لحركة حماس

حصل كذلك على دبلوم تدريس العلومالرياضيات ثم أكمل دراسته الجامعية في جامعة القدس المفتوحة وتخرج منها سنة**2000** ، وحصل على بكالوريوس التربية الإسلامية..

تقلد الشهيد العديد من المواقع القيادية حيث كان

*عضو اتحاد الطلاب بدار المعلمين برام الله في العم **.1980**

*عضو اتحاد الموظفين العرب بوكالة الغوث أكثر من دورة ، كما ترأس لجنة قطاع المعلمين لمدة **7** سنوات متتالية.
*عضو الهيئة التأسيسية لمركز أبحاث المستقبل .
*عضو مجلس أمناء الجامعة الإسلامية – بغزة.
*ممثل حركة "حماس" في لجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية.
*عضو القيادة السياسية لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" بقطاع غزة.
* مسئول دائرة العلاقات الخارجية في الحركة.
* أعتقل **4** مرات **(1989-1990-1991-)1992**
* أبعد إلى مرج الزهور بجنوب لبنان لمدة عام.
* أعتقل لدى جهاز الاستخبارات العسكرية الفلسطيني فيالعام **1995** على خلفية إنتماءه السياسي
*انتخب عضواً فى المجلس التشريعى الفلسطينى في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عن قائمة حركة حماس في دائرة غزة حيث حصل على أعلى أصوات الناخبين على مستوى الاراضي الفلسطينية و تولى رئاسة كتلة حماس بالمجلس
*أختير لشغل منصب وزير الداخلية فى الحكومة التى ترأستها حماس ثم تداعت الأحداث كما أسلفنا سابقاً .

تبقى كلمة فى النهاية كتبها الشهيد الجنرال المعلّم بدمه ، مفادها أن الأمم تعيش فقط بالقدر الذى تُقبل فيه على الموت ! ، ليس حباً فى الموت ذاته و لكنه الخطبة البليغة التى تنير الطريق و تمهد السبل لكل إنسان يسعى لحريته و أمنه و كرامته ، هذا هو الدرس الأخير الذى كتبه المعلّم فى دفاتر تلامذته الذين يشيّدون الآن قواعد المجد من بين أنقاض الدمار ، رفعت الأقلام و جفت الصحف و لم تجف دماء الشهيد و لن تجف .